

مقارنة للتعليم العالي بين الأردن وفرنسا

د. سميرة متكل

الجامعة الهاشمية

الزرقاء/الأردن

s.moutakil@gmx.fr

يختلف التعليم يختلف من لآخر، فلكل دولة أن تضع مقاييس ومعايير تختبر من خلالها مستوى التعليم فيها؛ لما له من أهمية بالغة في بناء الدولة، فهو اللبنة الأساسية لبناء مجتمع وهو أيضا الواجهة لمعرفة مدى تفوق وتماسك المؤسسات، ونوعية المخرجات التعليمية. كما أن هناك العديد من تحديات التعليم، فكل بلد يبحث عن التميز ويضع لذلك استراتيجيات ويعمل على تطبيقها.

إن الجامعة، هذا الصرح العلمي، تُعد جسراً لكل طالب علم، حيث لا تقتصر الدراسة فيها على الجلوس على مقاعدها وأخذ المعلومات فقط، بل توظيفها في مكانها المناسب. لذلك فإن كل من له صلة بالتعليم يرتقي إلى التفوق والتميز بكل أنواعه وأشكاله.

فالتميز لا يقتصر فقط على جلب هيئة تدريسية درست في أعرق الجامعات العالمية، بل إنه على هذه النخبة أن تتطور وتنمو في أفكارها من خلال متابعة كل ما هو جديد في تخصصاتهم وتحويله وتقديمه إلى الطلبة.

من خلال ورقتي هذه، سأطرق إلى معنى التميز في المجالات التعليمية وربطها بالواقع الطلابي، وكذلك الدور الذي تلعبه الجامعة من أجل إعداد أجيال قادرة على مواكبة العولمة. فليس على التعليم أن يتوقف في الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا بل إنه يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك؛ فالجامعات والمعاهد تواجه تحديات جديدة وأهمها جودة النتائج من أجل التفوق، كما أننا نلاحظ مؤشرات عدة تدعونا إلى الاهتمام بهذا الموضوع، فالفكرة الرئيسية من هذه الورقة هي تحديد مسألة التميز في مجال التعليم ووصف السياق الوطني التي تنشأ فيه المشكلة وبالمقابل تحليل مسألة التميز في نظام التعليم.

لذا اخترت القيام بمقارنة بين دولتين: الأردن وفرنسا.

في البداية، سأطرق لمفهوم التميز في التعليم العالي، ثم أعرض تحليلاً للمعطيات حول الموضوع عبر إعطاء أمثلة على أوجه التشابه والاختلاف بين البلدين من ناحية التنمية الفاعلة في قطاع التعليم، وكذلك حجم مسؤوليات الأطراف الفاعلة عبر تحديد معنى وأفاق التميز، وكيف تنطبق على التعليم العالي من خلال تحليل النظام التعليمي للبلدين.

وفيما يلي عرض للمواضيع الرئيسية التي سناقشها في هذه الورقة:

1. معنى التميز في المجالات التعليمية
2. الاجتهاد من أجل تقديم المعلومات بأحسن طريقة والعمل على تحسين المستوى الأكاديمي
3. علاقة التميز بالواقع الطلابي
4. الدور الذي تلعبه الجامعة من أجل اعداد أجيال
5. التحديات التي تواجهها الجامعات والمعاهد
6. جودة النتائج
7. التفوق العلمي
8. مؤشرات فشل نوعية المتخرجين من الجامعات
9. امتحان مستوى الطلاب
10. تحديد مسألة التميز في مجال التعليم العالي
11. وصف السياق الوطني
12. الأردن بدنا نخرجهم ونرتاح منهم
13. فرنسا لا تعطو ممتاز للأجانب
14. المشكلة
15. تحليل مسألة التميز في نظام التعليم
16. أمثلة عن التميز في مجالات مختلفة
17. الأردن وفرنسا
18. أوجه التشابه
19. أوجه الاختلاف
20. التنمية الفاعلة
21. حجم مسؤولية الأطراف الفاعلة: الجامعة، وزارة التعليم العالي، الدولة

"الأمة التي لا تنتج معرفة تبقى أمة متخلفة"

مفهوم التميز في التعليم:

إن مصطلح التميز يعني السعي وراء درجة من التوعية تمكّن الفرد أو المجموعة من القيام بأعمال اجتماعية. والسعي وراء التميز "هو التصنيف حسب مصدر من المشاعر المختلفة والمتناقضة، وفقاً لاستراتيجياتها ومصالحها، الذي تتشارك فيها" (بيرنو 1987، ص62)

قبل البحث عن التميز يجب حل بعض المشاكل المتعلقة بالترتيب، والمعايير، وشكل التميز، والقيمة الأخلاقية للتميز المتوقع.

فالتغييرات في المجتمع الحديث اليوم هو عرضة لبزوغ/ظهور عديد من القيم المختلفة والمتناقضة.

ما معنى الطالب المتميز؟؟؟

هو الذي يملك مستوى من العلم والمعرفة في مجالات عديدة، وقادر على توظيفها من أجل حل أي مسألة عامة أو متعلقة بتخصصه، لكن المتعارف عليه هو الذي يحصل على أعلى علامات ويوضع إسمه على لوحة الشرف بغض النظر عن ثقافته، لكن المعنى الأول هو الأدق لأن التعليم في بعض الجامعات الأردنية أصبح التميز فيها مدى معرفة الطالب بالمدرس وكيفية التأثير عليه من جميع النواحي للحصول على علامات عالية. مثال طالبة أبوها عميد في نهاية كل فصل يتدخل من أجل حصول ابنته على علامات عالية مع العلم أنها لا تستحق المستوى الذي وصلت إليه. أهذا هو ما آل إليه التعليم العالي؟ أين التميز عند هذه النوعية من الطلاب؟

لقد تناول عدد كبير من المفكرين موضوع التميز في التعليم منهم: بلوم 1987، شاغبونيل 1987، إيثي 1989، هاملين 1987، بيغينو 1987، فانديرميرش 1987.

بالنسبة لإيثي فهو يرى أنه: "يوجد التميز عندما تكون المؤسسة قادرة على جعل الطالب قادر للوصول إلى تحقيق أهداف برنامج التعليم وإلى مستوى مناسب وواقعي من النجاح، ولكن أيضاً إلى أقصى حدود قدراته الشخصية" (إيثي، 1989).

كما يرى فانديرميرش أنه: "لا يمكن للنظام أن يكون ممتازاً إلا إذا كانت كل مكوناته ممتازة" (1987) الطالب الممتاز هو الذي يتمتع بمهارات مكتسبة في الفهم العام والقادر على استعماله في عدة مناسبات ومواقف اجتماعية متنوعة. فالتميز بالمؤسسات التعليمية ما هو إلا مرحلة للوصول إلى هذا النوع من التميز والذي يبقى تحدي بشكل دائم. ومن وجهة نظري أرى أن التعليم بالأردن متأثر بالتعليم الأمريكي.

في نطاق تحليل التميز يجب الأخذ بعين الاعتبار اثنان من مكونات النظام التعليمي:

1. من جهة عناصر داخلية تتمثل في الطلاب، المدرسين، الإدارة، برنامج التعليم.
2. ومن جهة أخرى العناصر المحيطة، خاصة الأهالي، النظام التعليمي للدول الثانية، وسائل الإعلام، العامل السياسي، الاقتصادي، إلخ...

الفكرة من هذا المقال هي تحديد مسألة التميز في مجال التعليم ووصف السياق الوطني التي تنشأ فيه المشكلة، وبالمقابل تحليل مسألة التميز في نظام التعليم في الأردن مقارنة مع فرنسا.

ينبغي تحديد معنى وأفاق التميز وكيف تنطبق على التعليم العالي من خلال تحليل النظام التعليمي. فالتحليل هنا مرتكز على ملاحظات وتصرفات واطلاع مسبق على كل عضو، وعنصر، ومكون ونظام. وفهم استراتيجية وحافز، والدوافع للعمل عند كل عضو ما يمكن من إظهار الخصائص المتعلقة بالنظام التعليمي.

ما هو المعيار العالمي للتميز؟؟

إن التميز هو تعليم الشباب وتأهيلهم، إلا أن المشكلة تكمن في الطالب الذي يصل إلى المرحلة الجامعية وهو لا يعرف كيف يحلل جملة أو كيف يعطي رأيه ويشرحه ويعززه بالأمثلة، وعندما يطلب منه عمل بحث عن موضوع ما فلا يجد أفضل من أن يأخذ جمل من هنا وهناك ويقدمها، حتى أنه لا يفكر أنّ المدرس يعرف مستواه وما هو قادر عليه، وأنّ المعنى من طلب أبحاث هو جعل الطالب يبحث ويقرأ الكتب.

كل بلد يبحث عن التميز ويضع لذلك استراتيجيات من خلال المعايير العالمية للتميز محاولاً تطبيقها قدر المستطاع.

- ✓ ما هو التميز في المجالات التعليمية؟
- ✓ كيف يمكن ربطه بالواقع الطلابي؟
- ✓ ما هو دور الجامعة من أجل إعداد أجيال قادرة على مواكبة العولمة؟
- ✓ ما هي التنمية الفاعلة في قطاع التعليم في البلد؟
- ✓ ما هي حجم مسؤوليات الأطراف الفاعلة؟
- ✓ من المسؤول: هل لطالب؟ أم للمدرس؟ أم للجامعة؟ أم لوزارة التعليم؟ أم للدولة؟

خصائص التميز

ما هي مؤشرات التميز؟؟

1. التنوع في التنظيم
2. التوازن بين السلطة التنفيذية والسلطة الأكاديمية.

يقاس التميز عالمياً من خلال:

- الأبحاث المنشورة.
- نوعية الخريجين.
- مساهمة المدرسين في الارتقاء أكاديمياً.
- البناء في مساهمة المجتمع.
- التنوع في أساليب التدريس.
- خلق الجو الملائم.
- البحث العلمي.
- جلب الخبرات والكفاءات العالمية.
- تحفيز البحث العلمي.
- إقامة تبادل الخبرات عبر استقطاب مدرسين زائرين.
- العمل على المخرجات واتفاقها مع سوق العمل.

تحليل النظام التعليمي للأردن وفرنسا:

طبعاً هناك اختلاف بسبب عدة أسباب منها أن فرنسا لها باع طويل في التعليم العالي، لكنني وجدت من المناسب أن أقوم بذلك لكون وجود تعاون كبير في مجال التعليم بين الدولتين وكذلك كون بعض الطلاب يتجهون نحو هذا البلد.

هذه الأعداد الهائلة تتزايد منذ 1970 مع عدد الناجحين في التوجيهي، حيث استقبلت الجامعات 75% من الطلبة عام 2008، إلا أن عدد المدرسين لم يتزايد بالقدر المناسب مع الطلبة مما يؤدي إلى انخفاض في مستوى التعليم.

(جدول رقم 1- عدد الجامعات والطلبة والمدرسين)

فرنسا	الأردن
85 جامعة حكومية 14 معهد	10 جامعات حكومية 15 جامعة خاصة
40 مؤسسة خاصة 6 مؤسسات تعليمية كبرى	40 كلية مجتمع (18 حكومية/21 خاصة) 6 أكاديميات
عدد المدرسين	
90.086	8.898
عدد الطلاب	
2.229.000	243.000 17377 دراسات عليا

تتمثل الميزانية المخصصة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي سنة 2005 / 0,08 من الإنفاق للحكومة الأردنية. وتبحث الجامعات الحكومية الاستقلالية من حيث التمويل الذاتي عبر رفع رسوم التسجيل أو عن طريق فتح برنامج الموازي. أما الجامعات الخاصة فهي تدير شؤونها كأي شركة حسب قانون 1989، وقد استقبلت 25% من الطلاب سنة 2008-2009.

في سنة 2007 وُضعت خطة لتطوير التعليم العالي، إلا أن النتائج الغير مرضية دفعت جلالة الملك ورؤساء الجامعات سنة 2008 التساؤل حول المستوى الأكاديمي للطلاب وأهمية ربطه باحتياجات المجتمع، توسيع مشاركة الطلبة في المساهمة في أخذ القرار وتعزيز استقلالية الجامعات.

إن الميزانية والقوانين المتكررة والتغيير السريع لرؤساء الجامعات والاستقلالية المغلفة للجامعات ما هي إلا نوع من البيروقراطية ولعبة النفوذ. كما أنه في عام 2007 أعلن وزير التعليم العالي والبحث العلمي وضع تدابير لتعزيز العلاقة بين مؤسسات التعليم والقطاع الخاص ولم يرَ النور لغاية يومنا هذا.

نظام التعليم في الأردن على غرار النظام الإنجليزي، أي نظام الفصول والساعات المعتمدة.

(جدول رقم 2 – سنوات الدراسة)

الأردن	فرنسا	عدد السنوات
البكالوريوس	- بكالوريوس	4 سنوات
	- ما يسمونه ليسونس	3 سنوات
	ماجستير	سنتين
	الدكتوراه	3 إلى 5 سنوات

تعتبر فرنسا هي الدولة السابعة عشر التي يقصدها الطلاب الأردنيون، ففي سنة 2007-2008 نجد 200 طالب في الجامعات الفرنسية منهم 85 يدرسون بمنحة، 30% مسجلين في ليسونس، 34% ماجستير، و36% دكتوراه.

إن الدراسة لا تنحصر عند الحصول على شهادة التوجيهي بل هذه الشهادة تكون البداية في التعليم لأن التوجيهي مرحلة انتقالية حيث يجب على الطالب حسن اختيار التخصص الذي سيكون الأساس في بناء شخصيته ومستقبله الأكاديمي.

إن الدراسة لا تقتصر فقط على الحصول على الشهادة بل تتعداها إلى أبعد من ذلك، فالجامعة تهء الفرد للحياة وسط المجتمع.

وليس على التعليم أن يتوقف في الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا بل إنه يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك. فالجامعات والمعاهد تواجه تحديات جديدة وأهمها جودة النتائج من أجل التفوق. إلا أننا نلاحظ مؤشرات عدة تدعونا إلى الإهتمام بالموضوع ومن ضمنها، ارتفاع نسبة الفشل الصعوبة في تحصيل القبول في الجامعات الأجنبية أو الحصول على مكان في السوق العمل.

من أجل الحث على التميز الأكاديمي، على الدولة أن تهتم بالنقاط التالية:

- ✓ تشجيع استقلالية المؤسسات
- ✓ الريادة في الوسائل بطريقة واضحة
- ✓ القيام بتحضيرات، خاصة في مجال مساعدات البحث العلمي

بعد ازدهار التصنيف والترتيب العالمي، أصبح الحصول على مرتبة بين الجامعات المتميزات شيء خيالي وحالة هوس عند الكثير من الدول والجامعات، إذ لم يتم ادراجهم على الأئحة فذلك لا يعني عدم تخريج طلبة متميزين.

لقد تعود الطلاب على التلقين مع أن التلقين لا يصلح مع كل المواد أو التخصصات وكذلك الحفظ عن ظهر قلب. وكل ما يخرج عن هذا النطاق يصعب عليهم. فكلمة تحليل شبه منعدمة، وهنا أخذ مثال طلبة الماجستير، أغلبهم يقومون بأخذ المعلومات من المراجع ويقدمونها للمشرف، فلماذا إذن يُسمى المشرف، أليس لكي يوجه الطالب.

في مجال الإحصاءات وتحليلها، يدفع الطالب المال لمكتب كي يقوم بذلك، وعندما يسأل لا يعرف الإجابة أو يجيب بأشياء أخرى.

أصبحت الجامعات مصانع للشهادات، فما هو دور التعليم العالي؟ على هذا الأخير أن يهتم ببعض النقاط، صحيح أنه على المدرس إختيار المادة التي يدرسها إلا أننا نجد عدة أنواع من المدرسين فعلى التعليم العالي مراقبة ذلك.

لان التمييز يعني مجموعة من المناهج والأساليب والتقنيات التي يتمثل هدفها التحسين المستمر، سواء من حيث النوعية أو الكمية، اذ أن هناك ثلاث مكونات للتمييز:
الأسلوب/المدرس، الأدوات/الجامعة، نوعية التعليم/وزارة التعليم.

لذا من المهم والأساسي تعليم الطالب كيفية استخدام ما يسميه الفرنسيون "la matière grise" "المادة الرمادية" أي العقل. فيجب علينا نحن المدرسين أن نرتقي بالطالب إلى مستوى أعلى وليس النزول إلى مستواه، فعلينا تحفيز عقله عبر طرق كثيرة تحثه على اللجوء إلى التفكير الإبداعي، التفكير النقدي عوض قمعه عندما يطرح سؤالا، لماذا يزرع المدرس من السؤال؟ هناك سببان: إما أن يكون ليس لديه الكفاءة للجواب على السؤال، أو أنه لا يدخل في المادة التي تم تحضيرها.

يجب تعليم الطالب كيفية: الاستقصاء، كشف المعلومات المهمة، الإستنتاج، التحليل، المقارنة، النظرة الناقدة، تنمية التفكير الإبداعي.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه، إذا كان المدرس نفسه غير قادر على ذلك، فكيف بإمكانه تعليمه للطلبة؟

كم من طالب يعرف كيفية كتابة موضوع إنشاء بطريقة سلسلة ومنطقية؟ فأغلبية الطلاب سطحيين في التعبير.

"لتكوين طالب مثقف لا بد من أن يكون قادراً على تطبيق المادة التعليمية في الحياة الواقعية"

المدرس:

مدرس لغة أجنبية يشرح محاضراته باللغة العربية وعندما يتكلم نصف لهجته/لكنته غلط، فماذا سيتعلم الطلاب منه؟ كما أن هناك مدرسين يحددون عدد صفحات التي سيجري عليها الإمتحان.

(جدول رقم 3 – التحفيزات والاستقلالية)

الاردن	فرنسا
	التحفيزات منح وتبهيء الوسائل مجال التنافس عالي قانون لبرمجة البحث القروض الكبيرة للمشاريع العلمية
الوزارة هي التي تضع الانظمة	الاستقلالية للجامعات الحرية والمسؤولية فيما يخص الانظمة والقوانين الداخلية
	الاستقلالية في المنهجية، التمويل، ادارة الموارد البشرية
	التحفيز: وضع خطة لتمويل النشاطات والمشاريع

مبادرات التميز:

يجب وضع خطط استراتيجية تتضمن الثلاث نقاط وكل واحدة ترتبط بنهج:
1-السياق الأهلوية
2-الهدف
3-النتائج المعايير
الرؤية

- ✓ تمويل المشاريع (10-15% منها)
- ✓ تعزيز المنافسة على المستوى العالمي
- ✓ اعتماد اللجنة العلمية التي تساهم في التوجيه ومتابعة المبادرات
- ✓ التأثير العام على مجتمع الجامعي والعلمي

(جدول رقم 4 – نوعية التعليم)

الباكالوريوس	
الأردن	فرنسا
التدريس	

فصول إعادة المواد التي رسب فيها الطالب	سنوات إعادة السنة كاملة
نوع المحاضرات	
المادة مكونة من بضع صفحات محاضرة اللغات تشرح بالعربية	4 كتب لكل نوع أدبي
نوع الامتحانات	
والأسئلة تكون عبارة عن مهزلة: متى ولد ومتى توفي المؤلف في أي قرن عاش وما هي أهم مؤلفاته	يوم الإمتحان لأحد يعرف ما هي المادة وما هي المواضيع تكون تحليلية
نوعية الطالب	
الطلاب يقضون وقتهم على الأنترنت وعلى المسلسلات	في المكتبات
الماجستير	
فرنسا	الأردن
المراجع	
الطالب يختار المراجع	المدرس يختار المراجع التي سيستفيد منها
المناقشة	
عن الأفكار ومدى ترابطها ومقارنتها مع أفكار كتاب	عن اللغة والترقيم

هناك مدرسين متخصصين في البحث العلمي ومساهمهم الوظيفي أستاذ باحث، أما الأردن فيأخذ سنة تفرغ يذهب فيها كمدرس زائر لكسب المال.

كم سمعنا هذه العبارة تتكرر بطريقة فردية أو جماعية: "نجح الطلاب عشان ما تكون النسبة قليلة" مثلا: طالب في جامعة يحصل على علامة 75 معدله جيد جدا وطالب في جامعة ثانية علامته 60 ومعدله جيد جدا، يكمن الفرق هنا في كون أن الجامعتين يعتمدان نظامين مختلفتين لاحتساب المعدلات. وأمام فرص العمل لهم نفس المستوى مع العلم أن واحد منهم اجدر من الثاني. يجب إذن تطبيق نظام الأفرنج في كل الجامعات أو نظام العلامات، إلا أن في نظام الأفرنج مشكلة، مثلا الصفر الجامعي 35 وهناك شعب مستواها متدني تكون د- هي في الأصل علامة 45.

إن الجامعة هي المدرسة التي تعد للحياة، تواجه أهم تحدي لها من خلال نوعية النتائج أي نوعية المنتج الذي يخرج للحياة العلمية التي هي دائما طور التغيير. فمن أجل نوعية جيدة للمخرجات على الجامعات البحث عن التميز هو هدف أو هم المؤسسات التعليمية بجميع أنواعها، يجب تحديد معنى التميز في التعليم العالي وطريقة أو كيفية قياسه، وتحديد على من تقع المسؤولية.

من المسؤول عن التميز؟؟

توجد عدة عوامل اجتماعية وسياسية تواجه مجال التعليم من أجل تطويره، لكل نظريته الخاصة حول الموضوع ويناقشه من وجهة نظره حسب حجم المشكلة التي يواجهها.

السياسة

ما فتأت الدولة وخاصة صاحب الجلالة الملك عبد الله الثاني وجلالة الملكة رانيا العبدالله بمنح تحفيزات للمدرسين للارتقاء بمستوى ونوعية التعليم على كل مستوياته من خلال تقديم حوافز ومنح مكافأة قيمة.

أعطيت الأولوية للتربية والتعليم من قبل سياسة الدولة وقد أكد جلاله الملك على التميز المرتكز على تطوير التعليم من خلال :

- ✓ أهمية المشاركة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية
- ✓ التنافس في المجتمع الجامعي على أساس التميز والإبداع.
- ✓ قدرة النظام التعليمي بمتغيراته المختلفة (تنظيمية وتشريعية وإدارية وفنية وتدرسية... الخ) على خلق الطالب القادر على إيجاد مكانة له في صناعة المستقبل.
- ✓ التميز والإبداع في المرحلة الجامعية ودوره في صناعة مستقبل الخريج.
- ✓ الواقع الحالي والدور المطلوب من الطالب والحكومة والقطاع الخاص

- ✓ الآليات المناسبة لتشجيع وتحفيز ورعاية الإبداع والتميز ودعم ورعاية الطلبة الموهوبين والتميزين في الجامعات.
- ✓ البحث والدراسات العلمية المتخصصة في الجامعات وارتباطها باحتياجات المجتمع.
- ✓ المناهج والخطط الدراسية ودورها في تشكيل سلوكيات الطالب الثقافية والاجتماعية والسياسية.
- ✓ الأنشطة اللامنهجية ودورها في صقل شخصية الطالب وحفزه على التميز والإبداع.

في حوار للملكة رانيا العبدالله مع وكالة الأنباء المغربية، 2007
تحدثت عن التعليم قائلة: " نحن نتطلع إلى خلق جو من الإبداع والتميز في التعليم في الأردن. لأننا نؤمن بأن التعليم هو الأساس للتمكين وتحقيق التنمية المستدامة..... فالتعليم يؤثر على العائلة والمجتمع ومستقبل الأجيال القادمة بأكملها وليس على حياة الفرد فقط

ونظرا لما يشهده العالم من ثورة معرفية متسارعة، اعتقد انه علينا التركيز على توفير تعليم نوعي للجميع، فليس المهم فقط الأعداد السنوية للخريجين، بقدر ما يهم نوعية الخريجين المبدعين والمفكرين والذين سيساهمون في تقدم الإنسانية.

شبابا قادرين على مواجهة التحديات وعلى صنع المستقبل الأفضل، وقادرين على المنافسة بعلمهم على مستوى العالم وهذا لن يكون تحقيقه سهلا إلا إذا نجحنا في إطلاق قدرات الشباب ومواهبهم، وبذلك نحن نستفيد من المصدر الأكثر قيمة وتجدد في العالم العربي."

كل يقوم بمبادرة حسب قدراته للمساهمة في التقدم، حيث يرجع الفضل في فكرة إنشاء "مركز التميز في الخدمات المكتبية للجامعات الأردنية الرسمية" (مركز مجرة للتميز) إلى مشروع تطوير التعليم العالي في الأردن الذي وضعته الحكومة الأردنية للنهوض بالتعليم العالي بالمملكة. وكان "تطوير المكتبات الجامعية" أحد أركان المشروع الأربعة. حيث صدر خطاب معالي وزير التعليم العالي بتكليف جامعة اليرموك لتأسيس المركز بتاريخ 2004/04/27م.

أيعتبر هذا إنجاز كبير؟ أي نوع من الإنجاز دُفعت الألوفا في توفير موارد لا يستفيد منها أحدا، أم هذا من أجل إظهار أنفسهم والتباهي؟
ليس الأهم إنشاء مكتبات، بل جعل الطالب يدخل ويجلس ويقرأ كتاباً، هنا نكون قد حققنا وأنجزنا شيئاً قيماً، ما فائدة الكتب على الرفوف؟ كي يتجمع عليها الغبار؟

إن تصور مسألة التفوق من قبل بعض الجهات الفاعلة في نظام التعليم بالأردن والخطاب السياسي لمسألة التميز في المجتمع الأردني وفي نظامها التعليمي يتمحور حول نقاط ثلاث : "الدقة - الأخلاقية - الديمقراطية".
يجب على المجتمع الأردني وإنطلاقاً من روح هذه السياسة، تحديد هدف التميز ، وذلك في جميع مجالات النشاط التعليمي، بالقيام بمجهود "تخليق سلوكها". يمر هذا الجهد لتحويل الإنسان ثم شراكته "بالضرورة عن طريق التعليم والتربية". الهدف في هذا المجال هو تحقيق الديمقراطية عبر "واقعية التدريس بروح من الاستقلالية والإبداع" (بيا 1986).

ولتحقيق هذا الهدف، يجب المضي في سياسة الإصلاح التعليمي الذي بدأ منذ عدة سنوات. في إطار هذه السياسة، نشرت الدولة بمساعدة المجتمعات المحلية والأسر، العديد من الموارد البشرية والمالية اللازمة لدعم قطاع التعليم عبر برامج للإصلاح وأساليب التدريس ، وزيادة كمية ونوعية للبنية التحتية للتعليم.
وقد ساهم آباء وأمهات الطلاب في تحقيق الأهداف الوطنية للتعليم. بإرسال أولادهم، وخاصة الفتيات على الرغم من انخفاض دخولهم. فهم يشاركون مباشرة في بناء جو تعليمي عبر دفع الرسوم الدراسية.

إلا أنه تكمن صعوبة أخرى فيما يتعلق بالآباء لتحديد مفهوم النجاح والفشل. في بعض الأسر، توجيه أبنائهم إلى اختيار تخصصات غير مقنعين بها، الشيء الذي يصير درامياً ويعزى بسهولة إلى ضعف أداء نظام التعليم. النجاح والفشل في الجامعة أصبحت مفاهيم متعلقة بالنسبية أساساً، سواء فيما يخص مشاريع الطلاب او فيما يتعلق بطموحات الآباء. إن الطالب لا يختار التخصص الذي يرغب فيه في أغلب الأحيان بل معدله بالتوجيهي أو الأهل هم الذين يحددون ذلك، مع العلم أن هناك طلاب مبدعين مع أنهم حصلوا على علامات متدنية بالتوجيهي. لكن ما يلفت الانتباه هو برامج الموازي الذي يزدهر بطريقة غريبة في الجامعات، اذا لم يقبل طالب لأن معدله أدنى من المسموح به للتسجيل في التخصص، لكن بإمكانه التسجيل في برنامج الموازي. إنها لسخرية، فما دام الطالب يدخل الجامعة على نظام العلامات، لماذا يتم قبول من هم دون المعدل؟ من أجل المال؟ أين هو التعليم من هذا المنطق؟

مع العلم أنه ازداد عدد الطلاب المقبولين بالجامعات بـ10% بعد أن قرر مجلس التعليم العالي بخفض معدل النجاح بالتوجيهي للقبولات بالجامعات.

يواجه الطالب الذي يرغب في متابعة دراساته خارج الأردن متطلبات النظام التعليمي في البلد المضيف. وفقا للبلد المختار، فتنشأ عادة مشكلة ذات شقين : مشكلة الحصول على معادلة درجة أو درجات ومشكلة التكافؤ في منظومة التعليم في الأردن. وفي هذا الصدد يجب على الخريج الأردني اجتياز إختبار خاص أو إعادة دراسة سنة، بعض الأحيان سنتين حتى يتمكن من التسجيل في التخصص الذي يرغب فيه ومتابعة المحاضرات مع الطلاب. هذه الظاهرة على نحو متزايد، في كثير من الأحيان عكس الحالة التي كانت سائدة في الستينات والثمانين.

ما الذي يمكن ان يفسر هذا التغيير في الموقف؟ زيادة فجوة بين معايير التميز في نظم التعليم في البلدان المضيفة والأردن؟ أم تطبيق معايير جديدة وسياسات جديدة؟

فيما يتعلق باهتمامات التميز في التعليم حاليا، فإنها لا ازدهر في مناسبات الإحتفالات المناسبات لمنح جوائز التميز. ما القيمة المعنوية التي يولونها بحيث يعرف من التميز أن بعض المستفيدين تكون نتائجهم حالات غش في مختلف الامتحانات ومخالفات متعددة من حيث الانضباط؟ انهم يريدون النتائج النهائية، وبغض النظر عن السعر. وبناء على ذلك ، لديهم تصورات مختلفة عن الانضباط والشكل والقيمة المعنوية للتميز الأكاديمي والأفراد الآخرين في النظام. فالطالب ما يهمله هو الحصول على علامات عالية والنجاح في المادة ونيل الشهادة الجامعية فليس مهما العلم والمعرفة. مما يؤدي إلى التدني في المستوى الأكاديمي.

المشاكل التي تواجههم في الحصول على العمل أو على قبولات في جامعات أجنبية، مثلا فرنسا طالب حاصل على درجة البكالوريوس من اللازم أن يدرس سنة أو سنتين قبل التسجيل في الماجستير. أما فيما يخص سوق العمل فعندما يُسؤل الطالب عن معلومات لها علاقة بتخصصه لا يعرف الإجابة فكيف لصاحب شركة أن يمنحه وظيفة؟ أم أن الكاريكاتير التالي يلخص الوضع؟

(كاريكاتير - التوظيف)

مطلوب موظفين بشهادات عليا وخبرات ...



المدرس:

يلعب المدرس دورا مزدوجا في السعي لتحقيق التميز في التعليم : فهو المدرس الذي يهيء الطلاب للمنافسة، من جهة ، والفاحص الذي يمنح درجات النجاح واجتياز المستوى ومنح الشهادات، من جهة أخرى.

في دوره كمدرس فما عليه الا أن يعزز التفوق لانه من خلال "الطالب المتميز"، هو أول من يخطو إلى القمة، إلا أنه لا يعرف سوى لحظات قليلة من التنمية الكاملة بسبب عدد من المشاكل التي تتمثل عادة في المشاكل المادية والشروط الإدارية ومتطلبات العمل (التطوير الوظيفي، والإنصاف في المهام والتعيينات، الخ.) والشروط المهنية. بالنسبة

له مشاركته في استمرار متابعة هدف التميز يتحدد بشكل كبير من خلال تحليل دقيق للمشاكل التي يواجهها. وينبغي لهذا التحليل أن يؤدي إلى الإجراءات للرفع من قيمة حياته.

يشير التحليل إلى أن حكومة الأردن تنجز مهمتها التعليمية من خلال نوعين من القيود :

- قيود من خارج النظام التعليمي، وهذا يعني، الاتية من البيئة
- قيود داخلية، والكامنة في النظام.

في طليعة، القيود الخارجية، نجد الأزمة الاقتصادية التي أدت إلى انخفاض حاد في الأموال المخصصة من قبل الدولة للجامعات، يأتي بعد ذلك:

- النمو السكاني القوي الملحوظ على وجه الخصوص الشباب، مما يزيد كثيرا من الطلب على التعليم
- الاضطرابات في الثقافات والتقاليد التي تولد أنواعا جديدة من السلوكيات الاجتماعية بين الطلبة
- عدم وجود إطار واضح ودقيق يحدد أشكال ومستويات ومعايير التميز المطلوب من قبل المجتمع.

أما القيود الداخلية فتتمثل على حد سواء في مهمة إدارة الجامعة لمعالجة حالات خاصة نظرا للطابع الخاص والدرجة العالية من الاحتراف لمؤسسة تعليمية. وكمثال الإدارة مع نقص في المدرسين سواء من حيث النوعية أو العدد، زيادة على ذلك، فقدان مصداقية عدد من رؤساء الجامعات عند بعض الأشخاص.

تحليل المفاهيم والأدلة المقدمة أعلاه، يؤدي إلى الإفراج عن ثلاث ملاحظات من هذا النظام: التركيز على المقترحات، وجودة الأداء على النموذج المقرر، وطريقة تنظيمها.

الملاحظة الأولى، كما هو أداء النظام العادل نفسه يعاني من نقص في توضيح الخيار الموجود بين السعي الفعلي لتحقيق هدف التميز من قبل النظام، وتنفيذ سياسة وطنية من "الواقعية الديمقراطية"، التعليم، كما تمت صياغته من جانب السياسة. في خلاصة القول، إن "ما ومنهم" للتعليم لم يتم تحديد نوعية في المجتمع.

الملاحظة الثانية، القرار النموذجي من النظام يبدو مثل "تجنب المسؤوليات"، تختبئ كل مجموعة من العناصر الفاعلة وراء السلطة.

ثالث الحقائق، وضع تنظيم العلاقات بين الجهات الفاعلة الحالي ويتحقق في المقام الأول في التعاون بين وحدات أو مجموعات من الجهات المعنية في السعي لتحقيق التميز، وافترض سوء النية الدائم والموازنة بين مختلف صانعي القرار، والتي يشتهب في الاستفادة الكاملة من وضعهم.

الخاتمة

يظهر من هذه الدراسة نتيجة لا يرقى إليه الشك : إنه لمن الملائم البدء في التفكير بدقة وعمق على جميع مستويات النظام من أجل خلق الظروف المواتية لوضع هدف التفوق المعرفي مشترك بين كل فرد له صلة بالتعليم.

وينبغي أن يكون فرصة "النظرة جديدة" (فيرغسون، 1981) توضع على نظام التعليم من أجل تعميق القيمة الأخلاقية للتميز، ومعايير التصنيف، والتأزر وألية للإدارة.

القيمة المعنوية لهذا التميز الذي قبلته واشتركت فيه الأردن يحتاج إلى توضيح من أجل جعل كل عنصر مسؤول عن التأثير والمفعول المترتبين عن النتائج ومساهماتها في تحقيق عمل اجتماعي وتعليمي.

ينبغي مناقشة معايير التصنيف ليس من أجل أن يوضع اسم جامعة أردنية على لائحة الأوائل عالميا وانما للارتقاء بالتعليم وفي نفس الوقت بالبلد إلى أعلى المستويات، وكذلك من أجل تعزيز منافسة صحية بين مؤسسات التعليم العالي، والبحث عن التأزر بين جميع الجهات الفاعلة في النظام عبر دعم النشاط اليومي في هذا المجال من أجل الاستفادة من الخلافات من أي نوع لإثراء نتيجة للجهود الفردية. وتضم إدارة التميز الفلسفة، وأخلاقيات الإدارة والسياسة العامة لإدارة مؤسسة تعليمية .

ان جهود كل الجهات الفاعلة هي نوع من الطاقة الايجابية وعليها يتم تقسيم المهام من أجل الحفاظ عليها وتقويتها.

المراجع

- [1] كلمة جلالة الملك عبدالله الثاني في ملتقى شباب الأردن الأول 17-18 أيار 2003 بالبحر الميت
- [2] حوار لجلالة الملكة رانيا العبدالله مع عبد العالم دينية وكالة الأنباء المغربية، الخميس، 31 أيار 2007
- [3] موقع وزارة التعليم العالي الفرنسي www.enseignementsup-recherche.gouv.fr/
- [4] موقع التعليم العالي الأردني <http://www.mohe.gov.jo>
- [1] Biya, P. (1986). *Pour le libéralisme communautaire*. Paris: Pierre-Marcel Favre, Groupe média international.
- [2] Charbonnel, N. (1987). *Une éducation rêvée*. *Autrement*, 86, 114-116
- [3] Ethier, G. (1989). *La gestion de l'excellence en éducation*. Québec: Presses de l'Université du Québec
- [4] Hameline, D. (1987). *Le pédagogisme contre l'excellence*. *Autrement*, 86, 101-109.
- [5] Perrenoud, P. (1987 b). *Sociologie de l'excellence ordinaire*. *Autrement*, 86, 62-75.
- [6] Roman, J. (1987). *Excellence, individualisme et légitimité*. *Autrement*, 86, 76-83.
- [7] Schneider, R. (1987). *Gestion par concertation*. Montréal: Agence d'Arc.
- [8] Vandermeersh, E. (1987). Ad Majorem Dei Gloriam: le «plus» dans l'éducation et la démarche des Jésuites. *Autrement*, 86, 90-94.
- Rapport d'étape de la mission Aghion *L'excellence universitaire : leçons des expériences internationales*